

خطاب صاحب الجلالة
بمناسبة مصادقة الأمة على مشروع الدستور

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

شعبي العزيز:

لقد صادقت بأغلبية ساحقة على المشروع الدستوري الذي عرضناه عليك، وكان تصويتك تعبيرا مؤثرا عن أملك، وبرهانا ساطعا على وحدة صفك، وقد استقبلت نتائج تصويتك التي كنت أتوقعها، بعميق الارتياح ومزيد التأثر، وأقول التأثر، لأن ذلك التصويت الاجماعي الرائع كان يستهدف شخص ملكك، ويشخص تعلقك بالنظام الملكي، ويعبر عن وفائك العميق لذكرى والدي محمد الخامس طيب الله ثراه.

لقد جدد المغرب ارتباطه بالملكية التي هي رمز وحدة الأمة وعظمتها، معطيا برهانا جديدا على إيمانه بأنها ضمان مستقبله، كما كانت كذلك في ماضيه الزاهر، ووفى الشعب لروح محمد الخامس ذلك البطل الذي أوقف نفسه للكفاح، ووهب حياته لخدمة أمته، وضحى بكل مرتخص وغال في سبيل رفع مكانة المغرب بين الأمم، ثم إلتحق بالرفيق الأعلى وهو للأمة كلها أب حنون، رعى مصالحها، وحمى كيانها، وصان مكتسباتها ومقدساتها، فطوبى لك يا محمد الخامس طيب الله ثراك في جنان الخلد. لقد بذرت بذورا ما زلنا نجني ثمارها، ولقنت أمتك، دروسا في الوعي والتربية أتت أكلها، وستظل أمتك بعد مماتك تبادلك نفس الوفاء الذي بادلتك في حياتك، فلتنم قرير العين، مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

«يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي».

شعبي العزيز

إن من حقي أن أفخر وأباهي بك، وأنا أراك توالي إقامة البراهين على وحدتك ونضجك، ذلك لأنه قلما تتوفر شعوب في العالم على مثل هذه الوحدة المرصوصة وهذا التضامن الراسخ.

إن هذا التضامن العميق الجذور بين عناصر الأمة المغربية، الذي تجلى في الاستفتاء الدستوري وهذا الايمان القوي وهذا التطلع في حماس الى المستقبل، كل ذلك لا يعني إلا أن المغرب يسعى في عزم ويقين ليقوم بدوره الذي هيأته الأقدار له داخل إطار الحرية، ولصالح الجميع، وإذا كنا أيها المواطنون والمواطنات قد أقمنا على أساس قويم دعائم الدولة فعلينا منذ الآن أن نعمل لبناء المستقبل، وإن أمامنا لذلك مواعد وآجالا تنتظرنا، إن الدستور الذي أقررتموه يرسم إطار النظام السياسي الديمقراطي، وهذا النظام يتطلب منا إيجاد عدة مؤسسات وانتخاب مجالس وإعداد الأجهزة الضرورية التي تنسق وتربط بين تلك المؤسسات وتنظم علاقاتها.

وإن سنة 1963 التي نحن على أبوابها ستكون سنة الانتخابات والحملات الانتخابية، مع ما يواكب ذلك من عاطفة متأججة مبعثها التنافس، فعلينا مهما كانت الظروف والملابسات أن نتمسك بإيماننا، ونحرص على

التحلي بالاخاء والتسامح، ونحتفظ بهدوء الأعصاب وطهارة القلب. ونترفع عن الأحقاد والضغائن.

إن كلمة الديمقراطية لا تعني التحدي ولا تستهدف التطاحن، بل إنها سلوك خلقي إنها كفاح طويل ومستمر، يخوضه الديمقراطيون أحيانا ليضعوا حدا للغرائز الجامحة، ويخففوا من الغلو المتطرف ذلك أن الغريزة البشرية التي تحرص على الاحتفاظ بحريتها، تندفع أحيانا بصفة لا شعورية لتحد من حرياتهم، وخاصة من لا يشاطرونها رأيها واتجاهها.

ومن أجل ذلك، فإن علينا أن نقوم بردع عواطفنا، والتغلب على أهوائنا، إذا كنا نريد أن نكون أهلا للمؤسسات الديمقراطية، التي يخولها لنا الدستور، وسنخوض كفاحنا هذا مجتمعين وفي عزم وإصرار.

إن الدستور ليس غاية في حد ذاته، بل هو وسيلة لأنه أداة لتنظيم الدولة وتسيير دواليبها وأجهزتها، أما الغاية التي يستهدفها فهي أن يسهل تحقيق التقدم الاقتصادي والاجتماعي للأمة، ويقرب مسافة الوصول إليه، لأن التطور والتقدم في هذين المجالين هما الهدف الأكبر من كفاح الأمم والشعوب.

وقد حدد الدستور في هذا المجال الخطوط التوجيهية لسياستنا، فالمغرب سيتجه في طريق التنمية الاقتصادية، داخل برنامج التخطيط الذي يفسح المجال للمبادرات الفردية، والمغرب يأخذ بمبدإ اللامركزية عن طريق انتخاب المجالس الجهوية ويعبىء الطاقات البشرية والامكانيات، في إطار الانعاش الوطني.

ولكن مجتمعنا الآخذ بأسباب التقدم السريع المتطلع الى وحدة المغرب الكبير والذي تعترضه مشاكل يثيرها تضخم عدد السكان المتزايد، يفرض علينا أن نضاعف الجهود للدفع بعجلة النمو، وتقريب مسافات ومراحل التطور، ولذلك ففي إطار الحرية وبواسطتها يجب أن نتقبل كل التضحيات ونقدم على الاصلاحات الجوهرية، حتى تمتد شبكة الطرق والمواصلات، وتكثر المصحات والمستشفيات والمدارس والمعاهد.

وبقدر ما يحسن الشعب حل هذه المشاكل ومواجهتها، يقيم الدليل في نفس الوقت على تربيته الخلقية ووحدته الوطنية.

أعزائي المغاربة، عزيزاتي المغربيات:

إن دخول الدستور في حيز التطبيق لا يعني توقف الجهود التي بذلناها وما نزال نبذلها، بل بالعكس يسجل نهاية مرحلة تاريخية، والشروع في عهد جديد، سنواجه فيه كما واجهنا في الماضي عراقل قد تعترضنا في طريقنا، ولكننا سنتغلب عليها كما تغلبنا عليها فيما سبق.

ألم نقف بالأمس في وحدة متراصة جمعت بين الحضري والبدوي، والفلاح والعامل، لنعلن للعالم أجمع في حماس وعزم إرادتنا في التحرر والسيادة، وتوجيه مصيرنا، فقهرنا الأحداث وكتبنا أروع الصفحات؟ كذلك سنقف متحدين متضامنين لنهزم العراقل، ونبني المستقبل.

(ولينصرن الله من ينصره، إن الله لقوي عزيز).

صدق الله العظيم.

ألقي بالرباط الجمعة 16 رجب 1382 — 14 دجنبر 1962